مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٣) العدد (١)
الإصدار الثامن
٢٠٢٢ (٢٣١-٢٠٧)

القـــــــــــــــــــــــــــــــراءة
لماذا عزفنا عنها؟ وكيف نعود إليها؟
موظفو وطلاب الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية والمهنية –نموذجًا–

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. وائل محيي الدين الزرد
الأستاذ المساعد في الحديث النبوي الشريف وعلومه،
*الكلية الجامعية للعلوم المهنية والتطبيقية، **فلسطين**، غزة*
***البريد الإلكتروني:** wzard@ccas.edu.ps*

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٧ إبريل ٢٠٢٢م

الملخص

القراءة كنزٌ ثمينٌ ونعمة كُبرى ونعيم عظيم، من أُكرم بها ارتقى ووصل إلى الدرجات العُلا، ومن ضلَّ سبيلَ القراءة هوى وتردَّى في الدركات السفلى، إذ لا سبيل للمعرفة إلا بالقراءة ولزوم الكتاب، وإنَّ من نعيم الجنة المُعَجَّل به للمؤمنين القراءة، فهي السبيل إلى التقدم والازدهار، والرقي والحضارة. عرف أسلافنا –رحمهم الله– قيمة القراءة فتمسكوا بها وعُرفوا بها، وما برحوا مقاعد القراءة ولا تركوا الكتاب مهما عظُم الخطب ووقع الأمر الجلل، غير أنه في الآونة الأخيرة لُوحظ على المسلمين عامة وعلى العرب خاصة الإعراض عن القراءة والعلم، مستغنيين بقنوات الشبكة العنكبوتية عن الإمساك بالكتاب والجلوس للقراءة، فكفل لهم هذا الإعراضُ التأخرَ والتبعيةَ، وما عادوا يبدعون ولا يطورون، وأصبحوا –طوعًا أو كرهًا– أسرى ما يُلقى إليهم في هذه الشبكات. وفي هذا البحث يتطرق الباحث إلى أهمية القراءة ولزوم الكتاب في نهضة الأمة، كما يعرض إلى حال غير المسلمين مع القراءة والعلم، وإلى أين وصلوا في هذا الميدان العظيم، ذاكرًا أسباب عزوف كثير من الناس عن القراءة اليوم، وقد جاءت هذه الدراسة لتظهر أن سبيل التقدم والازدهار هو القراءة والعلم، وقد اشتملت على: المبحث الأول: أهمية القراءة المبحث

الثاني: أسباب عزوف كثيرٍ من الناس عن القراءة، المبحث الثالث: كيف نعود إلى القراءة؟ ومن أهم النتائج التي توصلتُ إليها: أن القراءة صحبة عمر ومداد حياة، وأنَّ التقنيَّات الحديثة لا يمكن أن تكون بديلًا عن القراءة والكتاب، وأن العرب يعانون في هذه الفترة من إعراض عن التعلق بالقراءة وشغف بالكتاب، وأن الأمم ما تقدمت إلا بالقراءة والعلم، ومن النتائج أن الشباب خاصة هم أكثر الناس -للأسف- إعراضًا عن القراءة.

Abstract

Reading is a precious treasure, a great blessing, and a great bliss. Whoever is honored with the bliss of reading will ascend and reach higher levels, and whoever strays from the path of reading is a whim and deteriorates in the lower levels, because there is no way to knowledge except through reading and the book. Among the bliss of Paradise accelerated for the believers is reading, as it is the way to progress and prosperity, ophistication. In this research, the researcher touches on the importance of reading and the necessity of the book in the renaissance of the nation, as well as the situation of non-Muslims with reading and science, and where they have reached in this great field. The researcher figured out the reasons for the reluctance of many people from reading today. This study came to show that the way to progress and prosperity is reading and science, and it included: The first topic (The importance of reading), the second topic (The reasons for the reluctance of many people from reading), and the third topic (How do we return to reading?) Among the most important findings that the research came out with is that reading is the company of life and the supply of life. It also revealed that modern technologies cannot be a substitute for reading and the book, and that the Arabs suffer in this period from symptoms of attachment to reading and a passion for the book, and that nations have only advanced through reading and science, and one of the results is that young people in particular are the most people - Unfortunately - a reluctance to read.

*** مقدمة البحث**

فإنَّ القراءة سبيل المعرفة، ووسيلة النهضة، وما تمسكت أمة من الأمم بالقراءة والكتاب إلا وكُتب لها الرُّقي والحضارة، وحين أراد الله تعالى بعث هذه الأمة من الموات أنزل عليها خيرَ كتبه على خيرِ أنبياءه ورسله –عليهم الصلاة والسلام- وقال له في أول ملامسةٍ لوحي السماء لبني آدم بعد انقطاعٍ دام سنواتٍ طوال {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} [العلق: 1 – 5].

والأمة العربية كانت أمةً أمِّيةً[1] غير أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أخذ بيديها وأخرجها من ضلال الجهل إلى هُدى العلم، ومن ظلام الكفر إلى نور الإسلام، واستطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يرشد الأمة إلى طريق النهضة وسبيل الرُّقي، فدلهم على العلم ومنابعه، والفهم ومظانِّه، واستجاب الصحابة –رضي الله عنهم– ومن بعدهم من المسلمين إلى هذه النصيحة النبوية الذهبية، فعكفوا على العلم والتعلم، وسبحوا في بحار الكتب ليستخرجوا دُرَرَ العلوم للناس، فجعلوا يثربَ مدينةً طيبةً منورةً، وأقاموا في كل الدنيا منائر للعلم والهدى.

وخلف من بعدهم خُلوفٌ عزفوا عن الكتاب، وارتضوا بما وصلوا إليه من مقام، وأعرضوا عن القراءة وتنكبوا طريق التعلم، فأصبحوا –مع الأيام– في ذيل قافلة الأمم، وصاروا عالةً على الناس، يُصنع لهم فيركبون، ويُحاك لهم فيلبسون، ويُزرع لهم فيأكلون، ومن كانت لقمتُه من فأسِه صارتْ كلمتُه من رأسِه، غير أنَّ الأمة –إلا من رحم الله– ما عاد لها فأس ولا رأس!

وقد استبدل كثيرٌ من أبناء الأمة القراءةَ بما يُنشر في شبكات الانترنت، فأخذوا من العلم قليلَه بحجة أنه لا وقت لديهم، وأن التعامل مع قنوات الانترنت بات أسهل بكثير من التعامل مع الكتاب، يواسون أنفسهم بهذه الكلمات، ولا يأخذون من العلم إلا معشاره –إن أخذوا–.

ونحن في هذا البحث نسلط الضوء على شريحة مهمة من موظفي وطلاب [الكلية الجامعية للعلوم المهنية والتطبيقية] كونها كليةً رائدةً ومبدعةً، وقد رأيت أن يكون عنوان البحث "القراءة؛ لماذا عزفنا عنها؟ وكيف نعود إليها".

*** أهداف البحث**

١– بيان منهج الإسلام في تعزيز القراءة لدى المسلمين، من خلال نزول آيات كريمة تحث عليها، وتأمر بها، حيث كان أول ما نزل [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ].

٢– إظهار ما كان عليه العرب قبل الإسلام من جاهلية؛ كان أبرز معالمها الأمِّية حيث كانوا أمةً أميَّة لا يقرأون ولا يحسبون.

٣– التحذير من الاستمرار في العزوف عن القراءة، ومخاصمة الكتاب، فإن هذا مما يساهم في بقاء الأمة عالةً على غيرها من أمم الأرض.

٤– بيان أنَّ القراءة منهج حياة، تلازم الإنسان من المحبرة حتى المقبرة.

*** مشكلة البحث**

ظهر في الآونة الأخيرة عزوفٌ مقيت عن القراءة والتعلق بها، بسبب انتشار الوسائل التقنية المعاصرة، والتي كانت أحد أبرز الأسباب في صرف كثيرٍ من الناس عن القراءة والتعلم، مما سبب في ازدياد الجهل وبروز التعالم، حيث يظن للأسف المنشغلون بهذه التقنيات أنهم على علم راسخ في معظم القضايا، وأنهم قد أحاطوا علمًا بكل ما يُطرح في الساحة العالمية من أمور عظام!

(1) إشارة إلى ما رواه الإمام البخاري في صحيحه: 1913 من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: [إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا] يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلاَثِينَ.

وسنعمل من خلال الدارسة أن نجيب على هذه الأسئلة التالية:-

١- ما هي الأسباب الرئيسية في عزوف الناس عن القراءة؟

٢- ماذا نفعل من أجل أن يعود الناس للقراءة من جديد؟

٣- هل تغني التقنيات الحديثة عن الكتاب؟

*** منهج البحث**

سلكتُ في بحثي هذا المنهج الاستقرائي: فقد قمتُ باستقراء كثيرٍ من الكتب العلمية ذات العلاقة بموضوع البحث، واخترتُ النصوصَ التي ذُكر فيها تعلق السلف الصالح بالقراءة والعلم، وكيف حثَّ الإسلام على ذلك، وسلكتُ أيضًا المنهج التحليلي: وذلك باستخراج المعاني الواردة في الأحاديث النبوية والآثار العلمية وتوجيهها وتوظيفها بما يخدم قضية العلم والتعلم، مستعينًا بأقوال العلماء القدامى والمحدثين، وسلكتُ كذلك المنهج النقدي: فقد قمتُ بتوثيق كل ما نقلت من آيات وأحاديث وأقوال، حيث نسبتها لأصحابها حسب المنهج العلمي المتبع.

أولاً- أهمية القراءة وفيه

١- السلف الصالح والقراءة

إنَّ أول ما نزل من القرآن الكريم باتفاق الأمة هو قوله -سبحانه وتعالى- **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}** [العلق: 1 - 5].

وليس من عجبٍ أن تتكرر كلمة **[اقْرَأْ]** في أول اتصال بين أمين الوحي في الأرض مع أمين الوحي في السماء -عليهما الصلاة والسلام- خمس مرات، فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ ... وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ ... حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: **اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ}**"[2].

لقد افتتح اللهُ مسيرةَ حياةِ الأمة بقوله **[اقْرَأْ]** وكأنه يشير إلى أنَّ الأمة لا يمكن أن تكفل لنفسها حياة القيادة والتقدم إلا بالقراءة، بالعلم، بالقلم، وقد ظهر هذا واضحًا في حياة الأمة، فحين أقبل أبناءُ الأمة على العلم والمعرفة بالقراءة والقلم؛ أكرمهم اللهُ وعلَّمهم ما لم يعلموا وكان فضلُ الله عليهم عظيمًا، ففتح المسلمون مشارقَ الأرض ومغاربَها التي باركَ الله فيها، ونشروا العلمَ والمعرفةَ في العالمين، واستطاعوا بالعلم والمعرفة استنقاذَ البشرية من مستنقعاتِ الجهلِ وبراثنِ الشرك إلى إشراقاتِ العلم وأنوار الإيمان والتوحيد.

إنَّ الله -سبحانه وتعالى- لم يأمر نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بطلب الزيادة في شيءٍ إلا بالعلم فقال **{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ**

---

(2) البخاري، صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري: كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)} [طه: 114] .

وكفى العلمَ شرفًا أنَّ الله –سبحانه وتعالى- أمر بالزيادة منه دون غيره، ولم يزل رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم- في زيادة حتى لقيَ الله –عز وجلَّ- وقد سلك علماء الأمة وكلُّ من أراد بنفسه خيرًا سبيلَ العلم بالقراءة والمطالعة والمذاكرة.

فقد كان علماءُ السلف الصالح –رحمهم الله- يُلزمون أنفسهم القراءةَ حضرًا وسفرًا، صحةً ومرضًا، فقرًا وغنىً، وكان قلَّ أن يسافر أحدهم إلا والكتاب ملازمًا له قبل طعامه وشرابه، ولقد حدث أن سافرت مرةً بالطائرة من الأردن إلى مصر، وقد كان ركاب الطائرة يزيدون على المائتين، وكان قدري أن يركب بجانبي رجل وامرأة غير مسلمين –كما بدا لي من لغتهما- والغريب في الأمر أنني في كل الطائرة –ومعظم المسافرين من العرب- لم أر من يمسك كتابًا إلا هذين المسافرين الأجنبيين وكان ثالثهم بفضل الله – سبحانه وتعالى- كاتبُ هذه الكلمات.

يقول ابن القيم –رحمه الله-:"وحدثني أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية –رحمه الله- عن أبيه قال: [كان الجَدُّ إذا دخلَ الخلاءَ يقول لي: "اقرأ في هذا الكتاب وارفعْ صوتَك حتى أسمع"، وأعرف من أصابَهُ مرضٌ من صداعٍ وحُمَّى وكان الكتابُ عند رأسِه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعَهُ فدخل عليه الطبيبُ يومًا وهو كذلك فقال: إنَّ هذا لا يحلُّ لك، فإنك تعين على نفسك وتكون سببًا لفوات مطلوبك، وحدثني شيخنُا قال: ابتدأني مرضٌ فقال لي الطبيب: إنَّ مطالعتك وكلامَك في العلم يزيدُ المرض. فقلتُ له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك؛ أليست النفس إذا فَرِحت قَوِيت الطبيعةُ فدفعت المرضَ؟ فقال: بلى؛ فقلت له: فإنَّ نفسي تُسر بالعلم فتقوى به الطبيعةُ فأجد راحةً، فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا] [3].

لقد كانوا –رحمهمُ الله- لا يملون من المطالعة، بل ويديمون النظر في الكتب قراءةً وكتابةً، حتى إنَّ كثيرًا منهم كان يستغني بمجالسة كتبه عن مجالسة كثير من الناس البطالين، ومنهم من شغله العلمُ عن الزواج لأنه لا يجد لذةً له في غير جمع الكتب وقراءة المصنفات، قال صالح بن أحمد بن حنبل –رحمهما الله تعالى-: [رأى رجلٌ مع أَبِي مِحْبَرَةً، فقال له: يا أَبا عبدِ الله، أَنت قد بلغتَ هذا المبلغ، وأَنت إِمامُ المسلمين. فقال: **مَعَ المِحْبرةِ إِلى المَقْبرة.**] [4].

قال الجاحظ: [من لم تكن نفقتُه التي تخرج في الكتب ألذّ عنده من إنفاق عُشَّاق القِيان، والمُسْتهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغًا رضيًّا، وليس ينتفع بإنفاقه حتى يُؤْثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابيِّ فرسَه باللبن على عِياله، وحتى يُؤمِّل في العلم ما يؤمِّل الأعرابيُّ في فرسِه"[5].

فاللذةُ الحقيقة كانت عندهم في السهر لتنقيح العلوم، وسماع صرير الأقلام، حتى إنهم ليتمايلون طربًا عند حل عويصة علمية، ويطيرون فرحًا عند وصول محبوبهم وملاك

(3) ابن القيم: روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية ص: 70.
(4) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد للإمام ابن الجوزي، ص: 37

(5) الجاحظ: كتاب الحيوان للإمام عمرو بن بحر الليثي أبو عثمان، الملقب بالجاحظ 44/1.

عقلهم –الكتاب– حتى قال عنهم الإمام الشافعي –رحمه الله– يحكي حال أهل العلم مع العلم والقراءة:–

سَهَري لِتَنقيحِ العُلومِ أَلَذُّ لي ... مِن وَصلِ غانِيَةٍ وَطيبِ عِناقِ

وَصَريرُ أَقلامي عَلى صَفَحاتِها ... أَحلى مِنَ الدَوكاءِ وَالعُشّاقِ

وَأَلَذُّ مِن نَقرِ الفَتـــــــاةِ لِدَفِّها ... نَقري لِأُلقي الرَملَ عَن أَوراقي

وَتَمايُلي طَرَباً لِحَلِّ عَويصَةٍ.... في الدَرسِ أَشهى مِن مُدامَةِ ساقِ

وَأَبيتُ سَهرانَ الدُجـى وَتَبيتُهُ ... نَوماً وَتَبغي بَعدَ ذاكَ لِحاقي [6]

ولقد ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غدة –رحمه الله– في كتابه القيم "صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل"[7] وقد ذكر الشيخ د. سيد حسين العفاني في كتابه "صلاح الأمة في علوم الهمة– المجلد الأول" أخبارًا كثيرة في علو همة السلف الصالح في القراءة.

وأختم هذا المطلب بما قاله الإمام ابن الجوزي – رحمه الله– عن نفسه وهو في النهاية يرثي حالَ أهل زمانه ممن تثاقلت همتهم وضعفت عزائمهم:–

[وإني أُخبر عن حالي، وما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتابًا لم أره فكأني وقعتُ على كنز، ولقد نظرتُ في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية؛ فإذا به يحتوي على ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وأبي محمد الشخاب، وكانت أحمالًا، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلتُ: إني طالعتُ عشرين ألف مجلدًا، كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب، فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر همهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرتُ أستزري ما الناسُ فيه، وأحتقرُ همَ الطلاب ولله الحمد ... وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم! لا نرى فيهم ذا همة غالية؛ فيقتدي به المُبتدئ، ولا صاحبَ ورعٍ، فيستفيد منه الزاهد.] [8].

٢– غيرُ المسلمين والقراءة

أيقنَ سكانُ هذه المعمورة أنَّ الإنسان لا يحيى بالخبز وحده، بل لا بد من العلم والمعرفة وهذان لا يتمان إلا بالقراءة ومطالعة الكتب والشغف بها والتعلق بصفحاتها، وكان قد مضى على غير المسلمين زمانٌ ليس بقليل، عزفوا فيه عن القراءة وابتعدوا فيه عن سبيل النهضة، وكانوا عالة على الأمة المسلمة؛ منها يستقون المعارف وبعمارة الأمة للأرض يقتدون، وعلى ركبهم عند أهل العلم المسلمين يجلسون الساعات الطوال.

لكنَّ رغد العيش والرخاء الذي عاشت فيه الأمة زمنًا طويلًا –مع تآمر وكيد الأعداء– كان سببًا واضحًا في تنكب الأمة لطريق العلم وسبيل القراءة، فبدأت الأمة بالتأخر

(6) الشافعي: ديوان الإمام الشافعي رحمه الله ص: 63.

(7) للاستزادة من أخبار السلف الصالح مع القراءة والعلم، أنصح بقراءة الكتاب المذكور وكتاب: المشوق إلى القراءة والعلم، فهما –أي الكتابين– من أجمع الكتب فيما أعلم ذكرًا لأخبار السابقين في القراءة، وهما كذلك يدفعان المرء نحو القراءة دفعًا.

(8) ابن الجوزي، صيد الخاطر للشيخ ابن الجوزي رحمه الله ص: 12.13.

شيئًا فشيئًا حتى أصبحت –للأسف– في ذيل القافلة التطويرية وفي مؤخرة سفينة النهضة.

وحين فقه غيرُ المسلمين أنه لا سبيل لنجاتهم من وحل الظلام وعبث الحياة إلا بالعلم، انكبوا على القراءة والمطالعة واقتناء الكتب، وزجوا بأبنائهم في مجالس العلماء مسلمين كانوا أو غير مسلمين، لعلمهم اليقيني [أن من أراد التفوق الواضح والنبوغ والإبداع عليه أن يكون لديه نوعٌ من الوَلَه والشغف بالقراءة واصطحاب الكتاب حتى يقرأ في اليوم الساعات الطوال] [9].

والمؤشرات التي بين أيدينا تفيد بأن نسب القراءة في العالم العربي متدنية جدًّا [ففي الوقت الذي يبلغ متوسط القراءة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلًا 200 ساعة سنويًا، نجده عند العرب لا يتجاوز الست دقائق!] [10].

إنه من الواضح بكل جلاء أن غير المسلمين قد أعادوا صياغة مفاهيم حياتهم على التعلق بالقراءة والكتاب، وقد أعدوا الخطط المناسبة لإخراج جيل يعشق العلم ويحب الكتاب والقلم، ولم يبقَ هذا الإعداد طور التخطيط والتنظير –كما هو حالنا للأسف– بل أحالوه إلى ميدان العمل والتنفيذ، وقد رأينا كيف استطاعت دولة كاليابان تنزل عليها قنابل تدمر كل شيء أتت عليه، غير أنهم –برغم الدمار اللابشري الذي لحق بهم– لم يوقفوا مسيرة التعليم وتمكنوا من تدريس أبناءهم تحت ركام الدمار!

والمعروف أنَّ اليابان استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذريّة الأمريكية، ففرض الأمريكيون شروطَهم المجحفة عليهم، مثل: [تغيير الدستور، حلّ الجيش، نزع السلاح، إلى غير ذلك من الشروط، وقد قَبِلتْ اليابان جميعَ تلك الشروط باستثناء شرطٍ واحد هو: التخلي عن لغتها ومناهج تعليمها، القائم مثلًا على وجود مدرس واحد لكل ثماني طلاب! فكان هذا منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة] [11].

يقول الدكتور حمزة أبو النصر:–

[إننا إذا أمعنا النظر في واقع الأمم الصاعدة اليوم، نلمس من الوهلة الأولى أنها اعتمدت النهوض بالتعليم وتيسير سبل التثقيف أساسًا لتقدمها الحضاري في جوانب الحياة كلها، وفي المقابل فإن الشعوب التي توصف اليوم بأنها متخلفة، تشترك جميعًا في أنها لا تملك بنية معرفية صحيحة، كما أن بين معظم أفرادها وبين الكتاب نوعًا من الجفاء، ونوعًا من الخلل في أسلوب التثقيف، وفي الحساسية نحو المعارف الجديدة. سيكون من المؤسف أن تحتاج أمة، أول كلمة نزلت في كتابها ودستورها الثقافي كلمة [اقرأ] إلى من يحثها على القراءة، ويكشف لها عن أهميتها في استعادة ذاتها وكيانها] [12].

وكم حدثني كثيرٌ من الإخوة الذين يسافرون إلى بعض البلاد الغربية عن عجيب ما يرون من اصطفافٍ طويل للناس في تلك البلاد أمام المكتبات العامة من أجل أن يدفعوا ثمنَ الكتب المُشتراة، أو لكي يسبقوا غيرَهم في الدخول إلى

([9]) عبد الكريم بكار: طفل يقرأ للدكتور عبد الكريم بكار، ص: 9.
([10]) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور حمزة أبو النصر، ص: 141.
([11]) المكتبة الشاملة، أرشيف ملتقى أهل الحديث.
([12]) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور: حمزة أبو النصر، ص: 82.

تلك المكتبات، في مشهدٍ قلَّ وندرَ أن نرى مثله في العالم العربي؛ إلا من اصطفاف طويل أمام أماكن الطعام والشراب والملابس!

لقد كانت القراءة ولا زالت هي المحرك الأول للأمم عبر التاريخ من أجل النهوض واللحاق بركب الحضارة والتقدم، وها هي الأمم –غير المسلمة– شرعت في مشروع إذكاء حب القراءة والمطالعة بين أبناءها حتى بزُّوا غيرهم، وخلَّفونا للأسف وراء ظهورهم، وجعلونا –طوعًا أو كرهًا– عالةً عليهم في كثير من الأمور الحياتية التي لا تقوم الحياة إلا بها.

إن الناظر والمتابع للتطور الهائل الذي حققته بلادُ غير المسلمين يدرك بشكل واضح أن القوم لم يصلوا إلى هذا التحكم العالَمي في العالم إلا من خلال ما تملَّكوه من أدوات العلم والمعرفة، حيث جعلوا القراءة عندهم هدفًا استراتيجيًا نشَّأوا عليه أبناءَهم وزرعوه في أجيالهم، حتى استطاعت هذه الدول (مجتمعة ومتفرقة) أن تتصدر المشهد السياسي، والصناعي، والعسكري، والزراعي، والإعلامي، والهندسي، والطبيعي، حتى بات بعضُنا يصف النهضة في بلدٍ كاليابان مثلًا بالمعجزة!

وفي كتابه الشيق القيم "العلم وبناء الأمم" للدكتور: راعب السرجاني –حفظه الله– بيَّن ما للقراءة من أهمية في حياة علماء الحياة غير المسلمين، حيث ضرب أمثلةً رائعة في الانجازات التي أبدعها هؤلاء العلماء للبشرية كلها، وهي إلى اليوم تنعم بهذه الخيرات، وما ذاك إلا لأنهم –العلماء– واصلوا احناء ظهورهم على الكتب حتى غدوا ممن يُشار إليهم بالبنان [13].

ومن الأمور التي ساهمت في تعلق الغرب –عمومًا– بالقراءة ما يلي[14]:–

١– قراءة الأم لطفلها أثناء حملها مروراً بولادته وحياته كلها، ووجود الجو العلمي في البيت من خلال المكتبات الخاصة.

٢– وجود الحافز للكُتَّاب والمؤلفين على الكتابة والإبداع، حتى ولو لم يكونوا متخصصين، فإن وجود الحافز من قبل شرائح مختلفة من المجتمع يكفل نماء القراءة بلا شك.

٣– وجود دور نشرٍ كبرى تُعنى بالكتابة في كل المجالات ومن أي أحد، وهذه الدور بدورها تسعى لنشر الكتب وإقامة الندوات والمؤتمرات الحاثَّة على القراءة.

٤– الحث والتوجيه من قبل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع على القراءة، بحيث غدت القراءة والمطالعة من أسس النظام الحاكم في العالم الغربي.

٥– شراء الكتاب لا يشكل أي عبئ إضافي على دخل المواطن الغربي، فإن بعض الدول [**فرنسا**] تعطي الطالب بطاقة مالية مجانية لشراء الكتب التي تُطلب منه أثناء الدراسة، وهذه الكتب غير الكتب المنهجية طبعًا.

وفي دراسة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي لعام 2009 تبين أنَّ أعلى أوَّل 79 دولة على مستوى العالم في القراءة والكتابة لا يوجد فيها دولة عربية واحدة، غير أنَّ كيان

(13) عبد الكريم بكار: العلم وبناء الأمم للدكتور عبد الكريم بكار، ص: 619.

(14) يحيى الصوفي: قلة القراءة (مقارنة بين العرب والغرب) للأستاذ: يحيى الصوفي – مقال.

العدو الإسرائيلي المُسمَّى [إسرائيل] يحتل المرتبة رقم 59 في أعلى الدول قراءة وكتابة على مستوى العالم! [15].

يقول الدكتور حمزة أبو النصر:-

[إننا في عصر انفجارٍ معلوماتي لم يشهد التاريخ مثله حتى الآن، وإليك بعض الحقائق عن عصرنا حول ما يُنشر اليوم من كتب ومجلات ومقالات:-

١- يصدر خمسون ألف كتابٍ سنويًا في الولايات المتحدة الأمريكية.

٢- تصدر عشرة آلاف مجلة سنوية في الولايات المتحدة الأمريكية.

٣- تصدر سبعة آلاف دراسة يوميًا في أنحاء أمريكا.

٤- صدر في الخميس عامًا الماضية كمية من المعلومات، تفوق ما صدر في الخمسة آلاف سنة الماضية.

٥- معظم طلاب الثانوية في 56 دولة في العالم يقرؤون بسرعة تصل إلى 1000 كلمة في الدقيقة، بينما لا تزيد سرعة أقرانهم في العالم العربي عن 250 كلمة في الدقيقة.

٦- رجل الشارع في اليابان يقرأ 40 كتابًا سنويًا، والأمريكي يقرأ 30 كتابًا سنويًا، بينما العربي يقرأ أقل من هذا بكثير جدًا جدًا] [16].

وحتى نضع أيدينا على أحد الأسباب الرئيسية وراء تقدم العالم وتأخرِنا، [فقد أوردتْ الدراسات أن عدد الكتب المؤلفة سنويًا والمتوافرة للطفل العربي لا تزيد على 400 كتابًا، مقارنةً بالكتب المؤلفة والمتوافرة للطفل الأمريكي مثلًا، والتي فاقت 13.260 كتابًا في السنة، والطفل البريطاني 3837 كتابًا، وأفادت الدراسات أيضًا أن كل 20 مواطنًا عربيًا يقرؤون كتابًا واحدًا فقط في السنة، بينما يقرأ كل مواطن بريطاني 7 كتب أي 140 ضعف ما يقرأه المواطن العربي، أما المواطن الأمريكي فيقرأ 11 كتابًا في السنة أي: 220 ضعف ما يقرأه المواطن العربي][17].

ثانياً- أسباب عزوف كثيرٍ من الناس عن القراءة

١- التقنيات الحديثة والقراءة

إنَّ العالَم الذي نحياه اليوم يشهد ثورةً معلوماتية معرفية لم يسبق لها مثيل، بحيث أصبحت المعلومات في كل المجالات تفيض على الجميع دون استثناء، ودون نظر لعرق أو أهلية، وذلك بفض شبكة الانترنت العالمية، فقد سهُل التواصل بين أبناء كوكب الأرض، وأصبح من الميسور على الجميع تناقل ما يريدون من معارف بالصوت والصورة، فضلًا عن القراءة المكتوبة.

وقد ساهمت هذه التقنيات -بلا شكٍّ- في تدني مستوى القراءة في كثيرٍ من بلدان العالم وخاصة العالم العربي، فما يُنشر في هذه التقنيات يأخذ بالألباب ويشد الذهن كالمغناطيس، وأرباب هذه القنوات التواصلية مهتمون بالتطوير عبر كل ثانية، من أجل جلب وجذب متابعين ومشاهدين أكثر من غيرهم، هذا بالإضافة إلى انتشار الحواسيب في كل مكان، وضغط المكتبات المحملة بأعداد ضخمة من الكتب في اسطوانات صغيرة الحجم قليلة التكلفة،

(15) http://www.marefa.org/
(16) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور حمزة أبو النصر، ص: 148.

(17) تعرف على معدل قراءة العرب مقارنة بالغرب: لمؤلفه على شبكة الانترنت.

مع فتح مواقع معرفية ضخمة تقدم العلم بأرقى الأساليب وبدون تكلفة مالية، ومن أبرز هذه التقنيات الحديثة التي لها روّاد بعددٍ كبير جدًّا:-

Face book

Twitter

YouTube

يقول الدكتور حمزة أبو النصر:-

[ومع التقدم التقني والإعلامي الذي يصاحبه كثيرٌ من الزخرفة والسهولة في تلقي المعلومات الكثيرة المجانية الضخمة، ضعُفت أهميةُ الكتاب، لا سيما في عالمنا الإسلامي، ولا شك أن المصادر الأخرى غير الكتاب لها أثرٌ في تنمية درجة الوعي في الناس، لكن لا يمكن أن تكون بديلةً عن ثقافة الكتاب] (18).

والقراءة اليوم —وبلا شك- تواجه أزمة تحدي كبيرة، فالتقنيات الحديثة لديها من المغريات والجاذبات المعلوماتية أضعاف ما في الكتاب، وهي بذلك تستقطب كمًّا كبيرًا من أصحاب الأوقات الفارغة الذين كان من الممكن أن يساهموا في نهضة الأمة لو أنهم تعلقوا بالكتاب وأمسكوا بالقلم، غير أنهم الآن ومع وجود هذا الكم الكبير من أدوات التكنولوجيا الحديثة، ومع ما تقدمه هذه الأدوات من علوم ومعارف أضحت القراءة في خطر، خاصة أن كثيرًا من الناس بات على قناعة بإمكانية استغناءه عن القراءة والكتاب، فما في القرص المرن [**CD**] أضعاف أضعاف ما يوجد في هذا الكتاب أو ذالك، ثم إنه من الميسور الوصول إلى هذه المعلومات في أي وقت وفي أي زمان دون الحاجة إلى دفع مال أو حُنوٍّ على مكتب !.

وفي تقرير موسوم ب "الكتاب ومنافسة التكنولوجيا الحديثة"(19) نجد [أنَّ القراءةَ تواجه في مجتمعاتنا تحديات كثيرة منها: انتشار الأمية، وتراجع انتشار الكتاب، والإقبال على وسائل الترفيه التكنولوجية، وشبكات المعلومات الرقمية، والأجهزة الحديثة المرئية والمسموعة، وغيرها من التحديات التي جعلت الاتجاه نحو القراءة يضعُف ...

ومن المؤكد أن الشبكة العنكبوتية والكتاب الإلكتروني على الرغم مما يوفرانه من قدرات ومزايا عظيمة في مجال تداول المعلومات، ليسا الوسيلة ذات الأفضلية لدى القرَّاء وهذا يتضح من:-

١- استمرارية الكتاب في أداء رسالته التثقيفية والتعليمية، وفي الحفاظ على نشر الفكر والثقافة والأدب لعقود كثيرة مقبلة، واستمرار إقبال الناس على شراء الكتاب رغم غلاء ثمنه أحيانًا، واستمرار دور النشر بطباعة الكتب بشكل متزايد بشكل كبير جدًّا على مستوى العالم.

٢- انتشار المعلومات وخاصة من خلال النشر الإلكتروني، انتشار معلوماتي يرافقه قلةُ المعرفة وضحالةُ الثقافة العامة، خاصةً لدى الأجيال الجديدة في كل شعوب العالم، التي هي في أغلبها مشغولة بثقافةٍ بعينها، أو بمواقع محددة أو بكتب

(18) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور حمزة أبو النصر، ص: 83.

(19) http://www.aljazeera.net / "الكتاب ومنافسة التكنولوجيا الحديثة".

معينة، مما يجعل الكتاب جديراً بالبقاء الحقيقي حمايةً لثقافة الأجيال الجديدة –القادمة– في كل العالم].

ورغم الوسائل الحديثة التي تُطرح اليوم مثل "الكتاب الإلكتروني" يرى المثقفون أنَّ الشعوب جميعها لا تزال ترتبط بالكتاب الورقي حيث يحبذه القارئ لأسباب كثيرة، أقلها إنه يرتبط "بالعلاقة الإنسانية القديمة" بين القارئ والكتاب، وهو يحمله بين يديه إلى أي مكان يريده، ويشعر القارئ بلذة غريبة تربطه بالكاتب ارتباطًا عجيبًا يشعر معه بقرب كبير بين وبين الكاتب.

وإلى الآن ودُورُ النشر تضخ بالكتب في المكتبات العامة والخاصة، ولا زالت المكتبات التي تُعنى ببيع الكتب زاخرة بالكتب القديمة ذات الطبعات الحديثة، وبالكتب الجديدة ذات الغلاف الخلَّاب الجذاب، ولا زال طلاب العلم على مختلف مستوياتهم يذهبون لشراء الكتب من خالص أموالهم!

يقول الجاحظ [20] –رحمه الله–:-

[والكتابُ هو الجليس الذي لا يُطريك، والصديقُ الذي لا يُغريك، والرفيقُ الذي لا يملّك، والمستميحُ الذي لا يستريثك، والجارُ الذي لا يستبطيك، والصاحبُ الذي لا يريدُ استخراجَ ما عندك بالمَلق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنّفاق، ولا يحتال لك بالكذب، والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعَك، وشحذ طباعَك، وبسط لسانَك، وجوّد بنانَك، وفخّم ألفاظَك، وبجّح نفسَك، وعمّر صدرَك، ومنحك تعظيمَ العوامِّ وصداقةَ الملوك ...

والكتاب تعرف به في شهر، ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغرم، ومن كدّ الطلب، ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم، ومن الجلوس بين يدي من أنت أفضل منه خلقًا، وأكرم منه عِرقًا، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ومقارنة الأغبياء ...

والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يعتلّ بنوم، ولا يعتريه كلال السهر ...] [21].

هذا الإطراء للكتاب وملازمته بالقراءة والمطالعة من قبل الجاحظ، لا يقابله سعادة مثيلة للكتاب الإلكتروني، هذا بالرغم من محرك البحث العالمي GOOGLE يجمع ملايين الأسماء من الكتب الإلكترونية المجانية، والمتوفرة بلا ثمن في الفضاء الالكتروني، ومع وجود زحف من قبل الباحثين والمثقفين نحو السرعة في الوصول إلى المعلومة عبر هذه الشبكات الإلكترونية، غير أن الجميع متفق على أن مراتب العلم لا تكون إلا بالقراءة من الكتاب الورقي، لما فيه من مزايا لا تخفى من له علاقة بالقراءة والمطالعة.

وبلا شكٍّ يواجه الكتاب الورقي اليوم حالة من التجاذب والتحدي بينه وبين الكتاب الإلكتروني، والمشكلة الأكبر والأهم هي: أننا نبحث عن جيل يعشق القراءة ويوقن

([20]) هو عمرو بن بحر، الليثي أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، ولد وتوفي في البصرة عام 255هـ، مات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه وله تصانيف كثيرة. الأعلام للزركلي [74/5].

([21]) الجاحظ: الحيوان للأديب عمرو بن بحر الجاحظ [39/1] بتصرف قليل.

أنها سبيل التقدم والازدهار، سواء كانت من كتاب ورقي أم من كتاب الكتروني، وستبقى حالة التجاذب هذه بين الكتابين –الورقي والالكتروني– دون انتهاء فيما أظن، غير أن الذي يصل بي إلى درجة اليقين من واقع التجربة: أن الكتاب الورقي هو من يصنع الفكر وينقي العقل ويذكي الثقافة ويبصر الإنسان ...

٢– موظفو وطلاب "الكلية الجامعية"[22] نموذجًا

قضية القراءة والمطالعة وملازمة الكتاب، قضية يُعنى بها كل طلاب الخير لبلادهم، وكل الساعين لنهضة أمتهم، ولا تجد مُمسكًا بالكتاب إلا وله نصيب من سهمِ خير في مسيرة النهضة للأمة قلَّ هذا السهمُ أو كثُر، وقد رأيت أن أعرض موضوع القراءة المهم على شريحة مهمة من شرائح مجتمعنا الفلسطيني، وقد اخترتُ موظفي وطلاب الكلية الجامعية للعلوم المهنية والتطبيقية التي أعمل بها منذ سنوات طوال، لاعتقادي أنَّ القراءة لا تتطلب زمانًا ولا مكانًا محددًا.

يقول د. عبد الكريم بكار [23]:–

[مهما كان الوضعُ الذي يقيمُ فيه أيُّ فردٍ مسلم، ومهما كانت المرحلةُ العمرية التي يمرُّ بها فإنَّ الإقبالَ على القراءة والتعلم بشغفٍ واهتمامٍ وتركيزٍ يشكل وجهًا مهمًّا من وجوه البداية على طريق الخلاص من التخلف والسير في اتجاه الازدهار الشخصي، وإنَّ بإمكاننا القول: إنَّ الشباب المسلم ينقسم اليوم إلى ثلاثة أقسام:–

١– قسمٌ –هو الأكبر– يقف من المعرفة موقف اللامبالي والمنصرف إلى الاهتمام بأمور كثيرة لا تمت إلى العلم بأي صلة.

٢– قسمٌ آخر –أصغر من الأول– يهتم بنقل المعرفة واستيعابها والاستفادة منها.

٣– قسمٌ –ضئيل جدًّا– ينتج المعرفة ويبدعها ويحاول إيجاد تطبيقات لها.

وقد توجهتُ بسؤال لرئيس قسم المكتبة المركزية في الكلية الجامعية مفاده: "ما هو دور الكلية الجامعية في إذكاء روح القراءة لدى الموظفين والطلاب في الكلية الجامعية؟" فكان ردُّه: [يوجد لدينا مكتبة ضخمة، فيها كتب يزداد عددها عن 140.000 كتاب عربي وأجنبي، وكذلك قاعات تتسع لعدد كبير من الطلبة للمطالعة، كما ونستقبل الطلبة فيها من الساعة 8–3 كل يوم حتى الخميس، وبمقدور الطالب أو الموظف الحضور فيها لأي وقت للاطلاع والمطالعة والاستعارة.

هذا بالإضافة إلى وجود اتفاقية تعاون مع الجامعة الإسلامية لاستعارة الطلبة منها ما يرغبون من الكتب، أيضا لدينا موقع الكتروني مدرج عليه الكثير من المصادر الالكترونية للكتب والابحاث العربية والاجنبية، كل هذا يعمل بشكل رئيس على تحقيق هدف واحد وهو توفير كل السبل للتشجيع على القراءة من أجل الثقافة العامة أو من أجل الحصول على

(22) "الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية" كلية رائدة في الإبداع متميزة في العطاء، نشأت منذ عام 1998 وهي تضم آلاف من الطلاب والطالبات، وقد تخرج منها عشرات آلاف الطلاب على مستوى قطاع غزة وفي كثير من المجالات، فيها أكثر من 70 برنامج ما بين بكالوريوس ودبلوم، وقد تشرفت بالعمل فيها منذ عام 2007. http://www.ucas.edu.ps/

(23) عبد الكريم بكار: طريق الازدهار للدكتور عبد الكريم بكار، ص: 59.

معلومات خاصة بالتخصص ومن أجل البحث العلمي والرقي بمستوى الطالب الفكري والعلمي والثقافي.

وقد قامت المكتبة عبر الفصول والسنوات السابقة بالكثير من الانشطة لتشجيع القراءة، ومنها أيام لعرض الكتب حديثة الوصول، وكذلك تم عقد أيام بعنوان "القراءة للجميع" لتشجيع الطلبة على القراءة، هذا بالإضافة الى مساعدة الطلبة على الحصول على أي مصدر الكتروني او غيره من أي مكتبة عالمية.

ترصد الكلية مكافئات لتشجيع الطلبة على القراءة من خلال الابحاث العلمية التي تطلب منهم وعدد هذه الجوائز 6 جوائز مالية وشهادات شكر، كما ولدينا قاعات تخريج فقط لمساعدة الطلبة على القراءة والحصول على ما يحتاجونه من معلومات

هذا وقد أقامت الكلية الجامعية العديد من الأيام الدراسية وورش العمل من أجل إذكاء القراءة وحب المطالعة لدى الموظفين والطلاب، كما وتقوم أطقم الكلية الأكاديمية بزيارات دورية للطلاب في المدارس بالتنسيق مع المسؤولين في وزارة التربية والتعليم، من أجل إيجاد جسر علمي بين طلاب المدارس والكلية الجامعية، وقد آتت هذه الزيارات ثمارَها بشكل جيد والحمد لله] [24]

وقد عكفتُ منذ فترة –والحمد لله– من خلال تدريس المواد الشرعية في الكلية الجامعية في قسم الدراسات الإنسانية على ما يلي:-

١- إلزام الطلاب بقراءة كتاب -في التخصص أو في غيره- والقيام بتلخيصه تلخيصًا يدويًا كتابةً، ولا أقبله مطبوعًا لأضمن قراءتهم للكتاب، وأرشح للطلاب بعض الكتب التي أراها مناسبة لمستواهم العلمي، وتكفل تغيرًا لبعض مفاهيمهم عن الدين والحياة.

٢- أفتح المجال أمام الطلاب جميعًا لأخذ أي دورة تدريبية في أي فنٍّ من فنون العلم، وذلك بقصد شغل أوقات الطلاب فيما ينفعهم، ولعلمي أن الدورات التدريبية تُكسب الطلاب معرفةً وفهمًا، وللتشجيع يتم إعطاء الطلاب درجات إضافية جزاء هذه الدورة أو تلخيص هذا الكتاب أو ذاك.

وقد رأيتُ ترحيبًا من بعض المدرسين على الفكرتين السابقتين، ووعدوا أن ينفذوهما مع الطلاب وقد بدأ بعضُهم بالفعل بالتنفيذ –جزاهم الله خيرًا– وإنني لأرجو أن تكون هذه بداية الأفكار التي يُبنى عليها خطة محكمة كاملة الجوانب لنرتقي بمستوى القراءة والعلم عند جميع الطلاب.

٣– ملخص أسباب العزوف عن القراءة

توجهتُ بالسؤال لبعض موظفي وطلبة الكلية الجامعية عن القراءة، ما هي أسباب عزوفهم عنها؟ وكيف يعودون إليها؟ فكانت الإجابة على الشكل التالي:-

*** أسباب العزوف عن القراءة** [25]

١- تكرر انقطاع التيار الكهربائي في محافظة قطاع غزة.

٢- لا يجدون الوقت الكافي للقراءة، فمشاغل الحياة كثيرة.

([24]) رئيس قسم المكتبات والبحث العلمي في الكلية الجامعية، هو الأخ الدكتور: بهاء العريني.

([25]) هذه الأسباب المذكورة –مع واقعيتها- غير أنها لا تعد مقبولة، فهناك كثير من البلاد عانت أكثر مما نعاني كألمانيا واليابان مثلًا ولكنها مع ذلك استطاعت أن تبقى مهتمةً بالقراءة والعلم حتى أصبحوا في

٣- كثرة المشاكل والأعباء الحياتية في غزة، فالحروب لا تتوقف.

٤- الجو العام غير مهيأ للقراءة، فالترقب للقادم سيد الموقف.

٥- صعوبة العيش، والانشغال بجلب لقمة الخبز ورغيف العيش.

٦- اعتقاد البعض ان القراءة تساوي عدمها، في ظل البحث عن الرزق.

٧-لم ينشأ هذا الجيل على حب القراءة والتعلق بها منذ صغرهم.

هذا مع أنَّ الجميع متفقٌ على أهمية القراءة وأنها ضرورية كي نرقي في حياتنا، وأنه لا سبيل للنهوض إلا بالقراءة وملازمة الكتاب ومصاحبة العلم، غير أن هذا الاتفاق –للأسف- لا يعدو كونه أمنيات وأحلام، إلا من القليل من الموظفين والطلاب الذين يدلُّ واقعُهم وتقدمُهم على غيرهم بأنهم أتعبوا أنفسهم –في البداية- بالقراءة والمطالعة والتحصيل فاستراحوا –في النهاية- غير أن العلم حلوُ المذاق طيبُ الرائحة، من ذاقَ منه عرفَه، ومن عرفَه اغترفَ منه.

لقد عاش كثير من الناس أوضاعًا مأساوية كبرى، ومع ذلك حين اعتصموا بالعلم ونشأوا الأجيال على القراءة والمطالعة، استطاعوا ان يخرجوا من مصابهم، وأن يصبحوا رقمًا في عالم العلم اليوم، يشار إليهم في كل محفل.

٣- ملخص أسباب العزوف عن القراءة

إن عزوف كمٍّ كبير من أبناء الأمة عن القراءة – مصدر المعرفة- أمرٌ خطيرٌ جدًّا، هذا بإزاء تعلق أرباب النهضة والباحثين عن بناء حضارات لأممهم وللجيل، ولذا كان لزامًا علينا أن نبحث عن الأسباب التي تقف وراء عزوف أبناء الأمة –إلا من رحم ربي- عن القراءة.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار:-

[لدينا سؤالٌ كبير يتردد على الشفاه: لماذا لا يقرأ الطفل العربي ولا يحتفل بالكتاب كما يفعل الطفل الأمريكي أو الأوروبي أو الياباني مع أنَّ أول كلمة في أول آية في أول سورة نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي كلمة [اقْرَأْ] ... والجواب يكمن في أنَّ الأمة شهدت مدةً من الانقطاع الحضاري استمرت ثمانية قرون على الأقل، في هذه المدة نسينا ما أسسه الإسلام لدى الأجيال الأولى من حبٍّ للمعرفة وتقدير للعلم وأهله، ولا ينفعنا القول: إننا أمة [اقْرَأْ] فَلِمَ لا نقرأ؟][26].

إنَّ التعلق بالقراءة من النعيم الذي يعجله الله للمؤمنين في الدنيا، فما قيمة الإنسان دون أن يكون له نصيب من القراءة الجالبة له العلم، وما حياتنا الشرعية اليوم إلا نتاجٌ لما كتبه الأئمة الكبار من كتب يوم أن أحنوا ظهورهم على الكتب يقرؤون ويطالعون مع قلة الإمكانيات، ولكنهم استعاضوا عن قلة الإمكانيات بالهمة العالية والعزيمة الصادقة

مقدمة الدول وفي مقدمة القرَّاء العالميين، وكذلك مع هذه الظروف التي يشكو البعض منها، غير أننا بفضل الله تعالى لا زلنا نقرأ ونقرأ ونحث على القراءة.

([26]) عبد الكريم بكار: طفل يقرأ للدكتور عبد الكريم بكار، ص: 39.

والإرادة القوية، غير أننا بُلينا –كأمةٍ عربية– بضعف في القراءة بل وبكراهية للكتاب إلا من رحم ربي وقليل ما هم.

وللوقوف على أسباب العزوف عن القراءة أنقل ما كتبه الدكتور على بادحدح مختصرًا:-

[صرَّح أعداؤنا –للأسف– وفي مقدمتهم: موشي ديان [27] بأننا أمةٌ لا تقرا حيث قال: "العرب لا يقرؤون"، وهذا له نصيب من الصحة، وحظٌ من الواقع، ولعلَّ من أبرز أسباب عزوف كثيرٍ منا عن القراءة شعورهم بهذه المشاكل: –

١– مشكلة عدم محبة القراءة: ولعلاج هذه المشكلة نقول: تذوق وأزل حجاب الوهم عنك، فلن تجد صديقًا محببًا مثل القراءة والكتاب، واستشعر فوائد القراءة لك وللأمة كلها، وانوِ بالقراءة خدمة الدين ونشر الدعوة وتنمية شخصيتك وقدراتك، فلن يدلك على العمل الصالح إلا القراءة، وابدأ مستعينًا بالله ولا تعجز.

٢– مشكلة الانتفاع والاسترجاع: ويقصد بها شعور القارئ بعدم الانتفاع وعدم قدرته على استحضار واسترجاع ما قرأ، ولعلاج هذه المشكلة نقول: اقرأ بهدف وتابع دون انقطاع، وأعط أهمية كبرى لقراءتك، واعلم أن الفائدة من القراءة بالتراكم والتتابع.

٣– مشكلة الصعوبة وعدم الفهم: ولصعوبة الفهم أو عدمه أسباب ذاتية وخارجية، فالذاتية مثل: تشتت الذهن والقلق النفسي، الذكاء المحدود، انعدام الميل، أما الأسباب الخارجية مثل: غموض الكتاب، صعوبة الموضوع، ولحل هذه المشكلة نقول: لا تقرأ وأنت مشتت الذهن مضطرب، ولا تقرأ ما لا تحب أو ما لا تفهم خاصة في البدايات، وعليك أن تبدأ بصغار الكتب وسهلها قبل كبارها ووعرها.

٤– مشكلة الاحتيار في الاختيار: وتكمن هذه المشكلة في تحير المقبلين على القراءة في أي كتاب يبدؤون قراءتهم، فالكتب كثيرة جدًّا، والعلم أكثر من أن يحصى، ولحل هذه المشكلة نقول: استشر صاحب خبرة من القراء المشاهير، وراعِ ميولك في القراءة، واقرأ لمن تعرف وتثق بهم من المؤلفين في البداية.

٥– مشكلة انعدام الوقت: وهذه مشكلة وهمية وليست حقيقية، فالإنسان عنده وقت كثير جدًّا ويمكن استغلاله في القراءة وفي غيرها، فلو قرأ الإنسان لمدة 15 دقيقة يوميًا فإنه يقرأ 500 كلمة، وإن داوم أسبوعًا فإنه يقرأ 3500 كلمة، وإن داوم شهرًا فإنه يقرأ 105.000 كلمة وإن داوم سنةً فإنه يقرأ 1.260.000 كلمة، وهذه الكلمات تُكون قريبًا من 25 كتابًا من الحجم الوسط، وهذا عدد كبير جدًّا، وهذا

(27) موشي ديان: يهودي خبيث غادر، شغل منصب وزير الحرب "الدفاع" الإسرائيلي عام 1967، يُقال إنه ذكر هذا الكلام عنًّا كأمة عربية عندما نشر أسرار الحرب العسكرية ضد العرب فسألته صحفية: كيف تنشرون خططكم العسكرية قبل الحرب؟ فقال: إن العرب لا يقرؤون!، وللفائدة أقول: ما استطاع –بفضل الله- أبناء شعبنا أن يقفوا في وجههم صامدين في معارك متتالية إلا بالعلم والقراءة أيضًا، والحمد لله على كل حال.

للذي يقرأ ربع ساعة في اليوم، فكيف بالذي يقرأ 12 ساعة في اليوم كالمثقف الياباني مثلًا [28].

ثالثاً– كيف نعود إلى القراءة؟

١– القراءة منذ الصغر

إنَّ من أعظم ما يمكن أن نقدمه لأبنائنا أن نحبب إليهم القراءة وأن نربيهم في محاضن الأماكن المليئة بالكتب، بحيث يصبح رؤية الكتاب عندهم مألوفًا، ينشئون على رؤيته ويكبرون على التعلق به، وهي مسؤولية الآباء والأمهات، فكلنا راعٍ وكلنا مسئول عن رعيته.

يقول الأستاذ راشد بن محمد الشعلان [29]:–

[إنَّ القراءة تفيد الطفل فـــي حياته، فهي توسع دائرةَ خبراته، وتفتح أمامه أبوابَ الثقافة، وتحقق التسليةَ والمتعة، وتكسب الطفلَ حِسًّا لغويًّا أفضل، ويتحدث ويكتب بشكل أفضل، كما أنَّ القراءة تعطي الطفل قدرة على التخيل وبعد النظر، وتُنمي لدى الطفل ملكةَ التفكير السليم، وترفع مستوى الفهم، وقراءةُ الطفل تساعده على بناء نفسه وتعطيه القدرةَ على حل المشكلات التي تواجهه، وأشياء كثيرة وجميلة تصنعها القراءة وحب الكتاب فـــي نفس الطفل].

وقد مضى على الأمةِ زمانٌ كان يُنشَّأ فيه الأطفال في الكتاتيب بين أرفف الكتب وعلى أيدي العلماء، فيُغرس فيهم التعلق بالعلم ويزرع فيهم حب القراءة، فخرج –قديمًا– لنا جيلٌ كريمٌ أخذ بيد الدنيا كلها إلى حيث بر الأمان، واستطاع ذلكم الجيل أن يتقدم بالبشرية خطوات كبيرة إلى الأمام، ومن يقرأ في سيرة علماءنا القُدامى يدرك تمامًا عظيم محبتهم للعلم والقراءة، بحيث خلَّفوا لنا تراثًا مكتوبًا مقروءًا نحتاج لقراءته والوقوف على ما فيه من درر إلى أعمارٍ بجانب أعمارِنا، وما تمَّ لهم هذا إلا حين غُمسوا بالعلم والقراءة منذ نعومة أظافرهم.

ومن كانت له أمٌّ تقرأ فقد فاقَ غيرَه مراتٍ ومرَّات!

يقول د. عبد الكريم بكار:–

[إنَّ كون أول آية تنزل على نبينا –صلى الله عليه وسلم– تشتمل على الأمر بالقراءة لدليل واضح على أن مشكلة العرب كانت عند بزوغ فجر الإسلام هي (الجهل): الجهل بالله تعالى وبالأنفس وبالواقع وبطرق التقدم، وبعد دخول أمة الإسلام في نفق الانحطاط قرونًا عديدة عاد الجهل مرة أخرى ليشكل الآفة العظمى التي تعاني منها الأمة اليوم ... ولا سبيل لعودة الأمة إلى الصدارة ومنافسة الأمم في ركب الحضارة إلى بالعودة الكريمة إلى القراءة] [30].

إنَّ العالَم اليوم بات يتكلم عن القراءة الإبداعية لدى الأطفال لا القراءة فحسب، ففي زماننا الذي نحيى ما عاد

([28]) أوردتُ ما ذكره الدكتور علي بادحدح، مختصرًا ومن أراد الرجوع إليه فليعد إلى http://islameiat.com/saifak/mqal4.htm: وكتاب: مهارات القراءة السريعة [47-66] تحت عنوان: القراءة مشاكل وحلول.

([29]) راشد الشعلان: "أساليب عملية تجعل طفلك يحب القراءة" مقال للأستاذ/ راشد بن محمد الشعلان **http://www.saaid.net**

([30]) عبد الكريم بكار: طريق الازدهار للدكتور عبد الكريم بكار، ص: 56.57.

هناك متسعٌ من وقت للقراءة البطيئة المتأنية، فهناك مدارس للتدرب على القراءة السريعة بحيث صار من الممكن أن يصل القارئ لقراءة آلاف الكلمات في الدقيقة الواحدة [31].

[إنَّ غرس حب القراءة فـــي نفس الطفل ينطلق من البيت الذي يجب عليه أن يغرس هذا الحب فـــي نفس الطفل، فإن أنت علمت أولادك كيف يحبون القراءة، فإنك تكون قد وهبتهم هدية سوف تثري حياتهم أكثر من أي شيء آخر!! ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ ولا سيما فـــي عصر قد كثرت فيه عناصر الترفيه المشوقة والألعاب الساحرة التي جعلت الطفل يمارسها لساعات متواصلة] [32].

يقول أ. د. بركات محمد مراد:-

[إنَّ نقطة الانطلاق إلى تنمية روح الإبداع عند الطفل تكون بالقراءة الإبداعية؛ فإذا كانت القراءة هي الوسيلة التي لا غنى عنها للإنسان، فهي تثري خبراته وتوسّع أفقه، وتربطه بماضي أمته، وتجعله قادراً على فهم حاضره، والتخطيط لمستقبله، فإننا في حاجة ملحة إلى ربط القراءة بقدرات التفكير الإبداعي ... نحن في حاجة إلى تدريب الأطفال -خاصة الموهوبين- على طرح الأسئلة حول المعلومات التي لم تُذكر في النص، وإضافة فكر جديد، وكتابة عناوين مختلفة لما يقرأ، وكتابة عدة نهايات لقصة غير مكتملة، وكتابة حلول متنوعة لإحدى المشكلات، وتوقع ما يمكن أن يحدث لإحدى شخصيات القصة، وذكر الأسباب المختلفة لوقوع حدث من الأحداث ...] [33].

ولقد اهتم علماؤنا -جزاهم الله خيراً- من قديم في وجوب تنشئة الأطفال على العلم والقراءة، ولذا وجدنا كمًّا كبيراً من الكتب تُعنى بأساليب التعليم لدى الأطفال، وما هي السن التي من الممكن أن يُتحمل فيه الطالب العلم، وما هي السن التي يمكن أن يؤدي فيها الطالب العلم أيضًا، غير أنه من المشهور عندنا نحن المسلمين أن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، "وإذا أردت أن تعرف مستقبل أمةٍ فانظر إلى ما يقرؤه أطفالها" [34].

وقد تعرض العلماء إلى وسائل وأساليب لتشجيع الأطفال على القراءة[35]، أُورِدُها مختصرةً:-

١- توفير الكتب والمجلات الخاصة للطفل.

٢- القدوة القارئ.

٣- تشجيع الطفل على تكوين مكتبة صغيرة له.

٤- مراعاة رغبات الطفل القرائية.

٥- المكان الجيد للقراءة فـــي البيت.

---

(31) انظر على سبيل المثال كتاب: "القراءة السريعة" للدكتور مبارك الغمري الشمري، فقد ضرب فيه المؤلف أمثلة غريبة نوعًا ما للقراءة السريعة، وفي غيره من الكتب نماذج غريبة أيضًا من الممكن أن يُحتذى بها تجد بعضها في كتاب: كيف تتقن فن القراءة السريعة.

(32) راشد الشعلان: "أساليب عملية تجعل طفلك يحب القراءة" مقال للأستاذ/ راشد بن محمد الشعلان **http://www.saaid.net**

(33) بركات مراد: "الطفل والقراءة الإبداعية" مقال للدكتور بركات محمد مراد. المكتبة الشاملة.

(34) حكمة صينية نقلها د. طارق السويدان في كتابه "الطفل القارئ".

(35) جمعت هذه الوسائل والأساليب من:" طفلٌ يقرأ" للدكتور عبد الكريم بكار، ص: 63، و"تعليم المتعلم طريق التعلم" للإمام برهان الدين الزرنوجي، و"الطفل القارئ" للدكتور طارق سويدان والأستاذ فيصل عمر باشراحبيل.

٦- خصص لطفلك وقتاً تقرأ له فيه.

٧- السيارة وقراءة طفلك.

٨- عود طفلك على قراءة الوصفات.

٩- القصص والمجلات المشوقة وملاحقة الأطفال.

١٠- التشجيع على القراءة بلا مللٍ أو توقف.

يقول الدكتور بركات محمد مراد:-

[إننا يجب أن نعامل أطفالنا كلهم، كما لو أنهم جميعاً لديهم شرارة النبوغ. إن الآباء يستطيعون أن يلهبوا هذه الشرارة من النبوغ. أو يضعفوها أو يخمدوها. والواجب علينا تنمية هذه الميزة الرئيسية في أطفالنا بالقراءة، حتى يصبح لدينا جيل كامل من المبدعين والعباقرة. وكل طفل هو كائن موهوب إذا لم نقهر (الدهشة) التي ترتسم على وجهه، وإذا لم نمنعه عندما ينقد سلوكيات عالم الكبار] [36].

٢- مشجعاتٌ على القراءة

إن مما عُجِّل لنا من النعيم: القراءة والتعلق بالكتاب، كيف لا والقراءة هي معراج العلماء إلى العلياء وسبيل الصديقين إلى السماء...

"اقْرَأْ" كانت الكلمة الأولى في الكتاب الخاتم الوجه للبشرية، وكانت النداء الأول إيذانًا بمحو الأمية والجاهلية الأولى، وبدايةً في عصر العلم والارتقاء، إنها الكلمة التي دفعت البشرية كلَّها إلى طرق أبواب العلم بكل إمكانياته، إنها الكلمة التي غيرت وجه التاريخ، وأحيت القلوب وتحركت بها العزائم وتقدمت بها الأمم، إنها الكلمة التي دفعت البشرية كلَّها وأقضَّت مكامن نفوسهم إلى طرق أبواب العلم بكل إمكانياته، دعوى دوَّى رجعُها في جنبات العالم وأيقظت وأفزعت الغيورين حين قيل لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في غارٍ بعيدٍ "اقْرَأْ" فكانت القراءةُ نبراسًا يُلتمس منه الهدى والمعرفة، إلى آخر ما قال..."[37].

إنَّ القراءة هي المنهج الأمثل للحياة الكريمة في ظلال الشريعة المطهرة، وأنا لا أتصور حياة بلا قراءة، فالقراءة هي الحياة وهي النور وهي الروح، فمن فقدها فَقَدَ حياته ونوره وروحه، وما آثار علماءنا اليوم التي نتربى عليها ونطالعها إلا ثمرة من ثمار قراءتهم المطولة وانحناء ظهورهم على كتبهم ومؤلفاتهم.

يقول الدكتور حمزة أبو النصر:-

[إن التاريخ الإسلامي شاهدٌ على أن الحضارة الإسلامية العريقة -المعرفية- لم يبنِها إلا كثرة العلماء والباحثين في الميادين المختلفة، وهذا يزيد اليقين بأن الولع بالمزيد من الاطلاع واصطحاب الكتاب هو أحد الحلول المهمة للأزمة الحضارية التي تعاني منها أمة الإسلام اليوم] [38].

فالقراءة ليست هوايةً ولا تصح أن تكون كذلك بل هي ضرورة حياتية، ولازمة بشرية، فلا يُتصور حياة إنسان طبيعي بلا قراءة أو كتاب، فالقراءة صحبةُ عمرٍ ومدادُ حياة، إنها القراءة التي نزل بها الوحي، وحُفظت بها الشريعة، ودُوِّن

([36]) بركات مراد: "الطفل والقراءة الإبداعية" مقال للدكتور بركات محمد مراد. المكتبة الشاملة.

([37]) طارق السويدان: "ماذا أقرأ 4" ضمن سلسلة صناعة الثقافة للدكتور طارق السويدان ومعاونيه.

([38]) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور حمزة أبو النصر.

بها العلم، وربِّي بها الأجيال، وتخرج من موائدها العلماء الكبار...

[ومع أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– أمّيٌّ لا يقرأ... إلا أن هذه الكلمة توجَّه له وهو لا يعرف القراءة! مع أنه – صلى الله عليه وسلم – يتحلّى بآلاف الفضائل الحميدة والخصال الكريمة التي كان من الممكن أن يبدأ القرآن الكريم بالحديث عنها؛ لكن الوحي بدأ خطابه لخاتم الرسل بأمر صريح مباشر, مختصر في كلمة واحدة تحمل منهج حياة أمة الإسلام "اقرأ"... ولأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يعرف كيف يقرأ, ولا ماذا يقرأ فقد ردَّ بوضوح: ما أنا بقارئ، وقبل أن يقول له إن هذا الدين الجديد هو الإسلام...قبل هذا كله يقول له وبصيغة الأمر ''اقرأ"، إنَّ القرآن يزيد على سبع وسبعين ألف كلمة، ومن بين كل هذا السيل من الكلمات كانت كلمة "اقرأ" هي الأولى في النزول ...][39].

إنَّ التشجيع على القراءة أمرٌ يجب أن يشغل بال كلِّ المهتمين برقي بلادهم وتقدمها وازدهارها، فالأمر لا يتعلق بمسألة مختلفٌ عليها أو مستحبٌ القيام بها، بل إنها مسألة مصير ومستقبل، فالأمم اليوم تتنافس في خلق أجيال من أبناءها قارئة مطالعة مثابرة جامعة للعلوم من كل مكان، تحب القراءة وتولع بالكتاب، وكأنهم يريدون أن ينجبوا أبناءهم في مكتباتهم الخاصة، حتى إذا مرَّ أحدُهم على مكتبة عامة كبيرة قال لأمه وهو بيدها: "أمي متى يمكنني أن أقرأ كلَّ كتب العالم"[40].

لقد أنشأ العالَمُ جمعيات ومؤسسات خاصة للتشجيع على القراءة والمطالعة، فها هي جمعية "تشجيع القراءة" تقوم منذ عام 1988م بدعم مشاريع خاصة بالتشجيع على القراءة، وكثيرًا ما تتولى الجمعية رعاية مبادرات بالتعاون مع دور نشر الكتب والصحف، كما تبذل شركات وشخصيات أخرى جهودًا لنشر ثقافة القراءة في المجتمع[41].

وللقراءة فوائد لا تُحصى؛ منها[42]:–

١– القراءة من أعظم وسائل تحصيل العلم.

٢– القراءة من وسائل زيادة الإيمان.

٣– القراءة متعةُ كلِّ عاقل.

٤– القراءة فيها خدمةٌ للدين والدعوة إلى الله.

٥– القراءة تُنمي الشخصية والقدرة على التقويم والتحليل.

٦– القراءة دليل على العمل وصحته.

إنَّ التشجيع على القراءة سبيلٌ كريم تسلكه كلُّ الأمم مع أبناءها لإخراج جيل يفكر في النهضة ويسعى لتحقيقها، وهي مسؤولية تقع على عاتق الجميع، لأن انشغال الجيل بالقراءة يعني أنه لن يهدر وقته ولن يجد ما يضيعه من

(39) راغب السرجاني: القراءة منهج حياة للدكتور راغب السرجاني . www.IslamStory.com

(40) عبد الكريم بكار: ذكر هذه القصة الدكتور عبد الكريم بكار في كتابه: طفلٌ يقرأ.

(41) المشجعات على القراءة. http://mucz-lbv-001.goethe.de/ins/iq/lp/arindex.htm.

(42) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور حمزة أبو النصر، ص: 50-54.

وقت في المتع الكاذبة واللهو الخبيث الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

ومن هنا كان اهتمام الأمة بوضع آليات تشجع الجيل على القراءة واجبًا، والتي منها [43]:-

الوسيلة الأولى: وهي أهم الوسائل على الإطلاق: استحضار النية.

الوسيلة الثانية: من الوسائل المعينة على القراءة: أن تضع خطةً للقراءة.

الوسيلة الثالثة: تحديد وقت ثابت للقراءة واستغلال الفراغات البينية.

الوسيلة الرابعة: هي وسيلة من الأهمية بمكان وهي التدرج.

الوسيلة الخامسة: الجدية.

الوسيلة السادسة: التنسيق للمعلومات، والنظام في كل شيء.

الوسيلة السابعة :تكوين مكتبة متنوعة في البيت.

الوسيلة الثامنة: انقل ما تقرأ إلى غيرك.

الوسيلة التاسعة :أن تتعاون مع أصحابك وإخوانك في القراءة.

الوسيلة العاشرة والأخيرة من الوسائل المعينة على القراءة: هي أن تنقل مِن العلماء.

إن أكبرَ معين بعد تقوى الله على القراءة: استحضار نية رفعة الأمة وتقدمها وازدهارها، ورفعها من حالة التبعية التي تعيشها إلى حالة الابتكار والاختراع، فإنه –والله– مما يُدمي القلب أن نظل عالةً على الناس، يصنعون ويطورون ويبدعون ويخترعون ونبقى نحن نتلقى منهم فقط، وما سبقنا هؤلاء في حلبة الحياة إلا لأنهم تمسكوا بالكتاب ونحن فرَّطنا به.

٣- دور المؤسسات الحكومية والأكاديمية وغيرها

تقع المسؤولية الكُبرى فيما يتعلق بعودة أبناء الأمة للقراءة على عاتق المؤسسات الحكومية والأكاديمية ومؤسسات المجتمع المحلي، فإن الحكومة بوزاراتها التي تملك القرار فيها، وبخطة سيرها التي تضعها وترضاها يجب أن يكون من أبرز الأهداف التي تعمل من أجلها هو: كيف يعود أبناؤنا إلى القراءة وكيف يتعلقون بها.

يقول الدكتور حمزة أبو النصر:-

[إنَّ القوةَ سبيلُ نهضةِ الأمم، وأعظمَ مصادر القوة: "العلم والمعرفة" وأوسع مصادر العلم والمعرفة: "القراءة" ومن هنا تحرصُ الأممُ الحيةُ المتيقظةُ إلى إشاعة وتيسير أسبابه، وتكثير طلابه، وتجعلُ مفتاحَ ذلك تشجيعَ القراءةِ والتحريضَ عليها، وترويجَها بين جميعِ أفرادِ المجتمع، وبينَ جميع الفئات، والقراءةُ كانت وما زالت من أهم وسائل نقلِ ثمرات العقل البشري، ومنجزاته، ومخترعاته، وأنقى مشاعره وأحاسيسه ... حيث إن 85% من الثقافة نحصل عليها عن طريق القراءة] [44].

إنَّ الناظرَ في نِسَبِ (الأمِّية) في العالم العربي يدرك تمامًا حجم التقصير الذي مُنيت به الحكومات العربية –إلا من رحم ربي– تجاه شعوبهم، حتى خرجت لنا شعوبٌ لا تعرف القراءة ولا الكتابة، ويقدر عددهم أحيانًا بالملاين، وهذه والله من أعظم المصائب التي بُليت بها أمة [اقْرأْ].

([43]) راغب السرجاني: القراءة منهج حياة للدكتور راغب السرجاني. www.IslamStory.com ، وقد فصّل الدكتور راغب في هذه الوسائل بشكل كبير جدًا .

([44]) حمزة أبو النصر: مهارات القراءة السريعة للدكتور حمزة أبو النصر، ص: 102.

"قالت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "ألكسو" إن أكثر من ربع سكان الوطن العربي ما زالوا محرومين من التعليم ومواصلة التعلم، وأوضحت أن تقرير تحديات التنمية في الدول العربية للعام 2011 أن نسبة الأمية في العالم العربي يصل إلى 27.1%"[45] وقد بلغ عددُ الأميين في مجمل الوطن العربي في سنة 2014 نحو 96 مليون نسمة، ولفتت المنظمة أن جمهورية مصر العربية لا تزال تسيطر على أعلى نسبة أمية في العالم العربي، وأن أقلَّ نسبة للأمية في العالم العربي هي: فلسطين"[46].

ولعلَّ الحكومات هي التي يقع على عاتقها أكبر الأعباء وأثقل المسؤوليات تجاه هذه القضية الخطيرة الكبيرة، وخاصة الوزارة المعنية بذلك مثل: التعليم والثقافة والإعلام ومن لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالأمر.

فوزارة الإعلام مدعوةٌ أن تجعل برامجها دافعًا للجيل نحو القراءة، بحيث تُنمى في المشاهدين حب القراءة وتبرز لهم أهميتها وترفع من مستوى العلماء القدامى والمحدثين، وتفشي للناشئة عبر برامج شيقة جاذبة صفحات حياة هؤلاء العلماء الأجلاء، ليُحتذى بهم وليُقتدى بهم.

ولقد أصبح من أكثر القنوات تأثيرًا في الأجيال: الأفلام والمسلسلات وكل ما يمكن أن يشاهد ويرى، وهذا يعني أن وزارة الإعلام وبالتعاون مع غيرها من الوزارات ذات الشأن عليهم عبئٌ كبير في صناعة الجيل.

وكذلك وزارة الثقافة تفعل، فمطلوبٌ منها أن تقيم المهرجانات والمؤتمرات والأيام الدراسية من أجل زرع حب القراءة في الجميع، وتعلن عن المسابقات العامة والخاصة فيما يتعلق بالقراءة وتلخيص الكتب وتأليفها واختصارها، وتحيي في الناشئة –ما كان سائدًا أيام عزِّ الأمة– المذاكرة العلمية والمناظرة بين أهل العلم، وتجلب لأبناء المجتمع العلماء من كل مكان ليحدثوهم في كل الفنون وعلى كل المستويات، وتتعاون مع الوزارات المعنية من أجل خلق جوٍّ تشيع فيه نسمات العلم وعبير القراءة.

أما وزارة التعليم فالعبء الأكبر ملقىً عليها، خاصة أن أبناء الجيل جميعًا يذهبون طوعًا أو كرهًا للمدارس الحكومية، ويداومون على الذهاب 12 عامًا، وهم حين وصولهم أرض خصبة صالحة للزراعة ولا تحتاج إلا لزارع ماهر، وعلى الوزارة أن تسعى جاهدةً لإيجاد هذا المزارع الماهر الذي سيتولى صياغة عقول أبناء المسلمين بنفسه.

ولعلَّ من أبرز واجبات العاملين في القطاع التدريسي ما يلي[47]:-

١- لعلَّ من أهم واجبات المدرس خلق روح القراءة في نفوس الطلاب من أجل القراءة لا غير.

٢- أن يكون في المدرسة مكتبة شيقة جذابة، يستطيع الطالب أن يستخدمها وقتما شاء.

([45]) "نسبة الأمية بالوطن العربي 27%".
www.aljazeera.net .

([46]) "من هي أكثر بلد عربي يحوي "أميين" ومن هي أقل دولة؟"
www.qudsn.ps

([47]) رندة الحيط: دور المدرسة والعوامل والحوافز التي تشجع على المطالعة، للأستاذة: رندة سقف الحيط.

٣- أن يكون المنهج التدريس قائم على مفردات الفهم أكثر منه على مفردات الحفظ والبصم.

٤- أن تتم الاستفادة ممن سبقونا في هذا الجانب المعرفي فالمؤمن أحق بالحكمة أنَّى وُجدت.

٥- أن يكون في كل غرفة صف مكتبة خاصة يشترك طلاب الصف في تأسيسها.

٦- أن يكون في المدرسة حصة حرة للمطالعة فهي تساعد على اثراء حصيلة الطلاب اللغوية.

إنَّ إعداد الناشئة على حب القراءة مسؤولية ملقاة على الجميع، وبوجه أخص على المؤسسات الحكومية والأكاديمية، ومن الواجب على الجميع التعاون من أجل إذكاء هذه الفضيلة الواجبة في نفوس أبناءنا الطلاب، فعلى جميع المهتمين بالقطاع التعليمي في البلاد العربية والإسلامية أن يولوا هذا الأمر العناية البالغة، فإنه لا سبيل للنهوض مما نحن فيه من غفلة وتأخر إلا بالعلم وأعظم وسائله وهو القراءة.

يقول الأستاذ هيثم الخواجة:-

[وإذا أردنا أن نرجع إلى الكتاب ألَقَه وبهاءَه، فلا بد أن يأخذ كلٌّ رائدٍ دورَه «الأسرة والمدرسة والهيئات والمؤسسات... إلخ» وهذا الدور يجب أن يكون نتاج برامج ومخططات تفرضها الحكومات ومجالس الثقافة والمعنيون في أي مكان كانوا... إننا نعيش مرحلةً مخيفة بعد أن تقهقر دورُ الكتاب، وأهملَ الجيلُ القراءةَ بسبب لهاثِه وراءَ المرغبات واللهو، وبسبب استرخاء والديه القدوة أمام التلفاز ونسيان واجباهما القرائية وواجباهما تجاه أولادهما][48].

وهذا يعني أن الواجب يقتضي أن نتدارك ما فاتنا، وأن يقوم كل ذي مسؤولية بمسؤوليته، فإن الخير سيعم علينا جميعًا، كما أن دوام وبقاء الحال على ما هو عليه الآن سيعود بالتأخر والسلبية علينا جميعًا.

يقول الدكتور راغب السرجاني:-

[إنَّ دور الدولة في تنشئة العلماء لا يقل عن دور الأسرة بل يزيد، وقد يكون لزامًا على الدولة في سبيل بناء نهضتها، وفي سبيل قيادة مسيرتها نحو التقدم والاستقلالية، أن تحوز نصيب الأسد في كفالة العلماء، وفي تاريخنا الإسلامي ما يشهد للدول أنها كانت توقف العقارات الكبيرة على طلبة العلم والناشئة، ليكفلوا للدولة مع الأيام تقدمًا وبعدًا عن التبعية لغيرها، فإنشاء المدارس والمكتبات والكتاتيب ودور العلم والوقفيات العلمية وكفالة مرتبات لطلبة العلم المتفرغين ... كل هذا وغيره كان سببًا في ازدهار الدولة الإسلامية قديمًا، وهذا ما يجب أن يفعله أصحاب القرار اليوم][49].

ويوم أن أخذ غير المسلمين بذات الوسائل والأساليب وصلوا اليوم -في حال تأخرنا- إلى ما نرى من تقدم أبهر عيون الشاهدين، وأذهل كل المتابعين، وللأسف ما عاد لنا كمسلمين إلا التلقي من هذه الحضارة بما تجود علينا من اختراعات واكتشافات علمية.

وكان التحدي الأكبر للقراءة والكتاب فُشُوُّ التقنيات الحديثة في كل العالم وانتشارها، مما ساهم بشكل أو بآخر بتراجع الكتاب والتعلق به، وبتراجع القراءة لكثرة الملهيات والجاذبات في تلك التقنيات، غير أننا لاحظنا أيضًا

(48) هيثم الخواجة: القراءة وعصر التكنولوجيا للأستاذ: هيثم يحيى الخواجة مجلة الكويت http://www.kuwaitmag.com/

(49) راغب السرجاني: العلم وبناء الأمم للدكتور راغب السرجاني، ص: 291.

أنه برغم كل هذه الثورة التقنية وقف الكتاب شامخًا أمام كل هذه المغريات، وبقي الكتاب –بالقراءة– هو المصدر الملهم للعلم والنجاح.

*** خاتمـــــــــــــة**

فقد أعانني الله –سبحانه وتعالى– على إتمام هذا البحث الموسوم ب [القراءة لماذا عزفنا؟ عنها وكيف نعود إليها؟] ووقفتُ على مدى حرص أسلافنا –رحمهم الله– على العلم والقراءة، وضربنا لذلك أمثلة تدلل بشكل واضح أن الأمة فيما مضى كانت قد التزمت سبيل القراءة فأنتجت لنا فكرًا نيرًا ووصلت حضارة المسلمين إلى الدنيا كلها، يوم أن كان المسلمون أصحاب قلم وكتاب!

ووقفنا من خلال الدراسة على بعض أسباب عزوف الناشئة والجيل عن القراءة، والتي كان منها ما يلي:-

١- مشكلة عدم محبة القراءة

٢- مشكلة انعدام الوقت

٣- مشكلة الصعوبة وعدم الفهم

٤- مشكلة الاحتيار في الاختيار

٥- مشكلة الانتفاع والاسترجاع

وكان من ضمن النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث ما يلي:-

١- ظهر لنا عظيم حرص السلف الصالح على العلم والقراءة، حتى أصبحوا أساتذة البشرية.

٢- القراءة مفتوح بابها للجميع، وهي لا تحابي أحدًا، وليست حكرًا على أحد.

٣- ظهر لنا بشكل جلي واضح أن القراءة مشروع عمر وصحبة حياة، يجب أن ينشأ عليها أبناؤنا من الصغر.

٤- على الأمة بكل مؤسساتها أن تضع الخطط المناسبة للنهوض بواقع أبناء الأمة نحو العلم والتعلم والقراءة، آخذين بعين الاعتبار التقنيات الحديثة.

٥- المسؤولية بدرجة أولى تقع على الأسرة وبشكل أكبر تقع على الدولة بكل مرافقها ووزراتها.

*** توصيات**

بعد هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:-

١- أن تُعد البرامج الخاصة والعامة من أجل عودة الجيل إلى القراءة كونها هي المنقذ من حالة الجهل والتبعية التي نعيشها.

٢- أن يُساعد الآباء والأمهات –من خلال برامج وخطط توعوية– على زرع مبدأ القراءة في نفوس أبناءهم وبناتهم.

٣- أن تتكفل الدولة بوزراتها كلها بالعمل –وفقَ خطةٍ مشتركة– على غرس حب القراءة في نفوس أبناءنا من خلال العديد من الوسائل المشيقة الجاذبة، وليكن أولها صياغة المناهج الدراسية وفق هذه الرؤيا، ولتوضع كل الآليات المساعدة لذلك.

٤- أوصي إدارة الكلية الجامعية أن تجعل من مهامها الرئيسية إذكاء مهمة القراءة لدى الموظفين والطلاب على حدٍّ سواء، عبر مناهج وبرامج تضمن الرقي بهذه القضية.

٥- أن تتكفل الدولة بإقامة المكتبات العامة المفتوحة في الليل والنهار أمام طالبي الكتاب وعاشقي القراءة، وأن يُخصص شيءٌ من أموال الوقف لهذه المكتبات والعاملين فيها، كما

أوصي أن تتم كفالة من تفرغ لطلب من العلم من أبناءنا النجباء.

*** المراجع**

القرآن الكريم.

المكتبة الشاملة CD.

ابن الجوزي: الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *مناقب الإمام أحمد*، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الثانية

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *صيد الخاطر*، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم – دمشق، الطبعة الأولى2004م

أبو النصر: الدكتور حمزة أبو النصر، *مهارات القراءة السريعة* مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى.

البخاري: الإمام: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، *صحيح البخاري "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ

بكار: الأستاذ الدكتور: عبد الكريم بكار، *طفل يقرأ*، دار السلام، الطبعة الأولى 2011

بكار: عبد الكريم بكار، *طريق الازدهار "أفكار وأساليب من أجل النهضة"* دار السلام، الطبعة الأولى 2013.

الجاحظ: الإمام عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، *الحيوان*، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ

الجوزية: الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: 1983م.

الحيط: الأستاذة رندة سقف الحيط، *دور المدرسة والعوامل والحوافز التي تشجع على المطالعة*، شبكة الانترنت.

الخواجة: الأستاذ: هيثم يحيى الخواجة، *القراءة وعصر التكنولوجيا*، مجلة الكويت . /http://www.kuwaitmag.com

الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، *الأعلام* دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر 2002 م.

الزرنوجي: الإمام برهان الدين الزرنوجي، *تعليم المتعلم طريق التعلم*، دار الكتب العلمية.

السرجاني: الدكتور راغب السرجاني، *العلم وبناء الأمم*، مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى 2007.

السرجاني: الدكتور راغب السرجاني، *القراءة منهج حياة* .www.IslamStory.com

السويدان: الدكتور طارق السويدان، *الطفل القارئ"* ضمن سلسلة "صناعة الثقافة"، شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع في الكويت، الطبعة الأولى 2007.

السويدان: الدكتور طارق السويدان، *ماذا أقرأ 4"* ضمن *سلسلة "صناعة الثقافة"* شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع في الكويت، الطبعة الأولى 2007.

الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، *ديوان الشافعي*، جمعه وعلق عليه: محمد عفيف الزعبي، المكتبة الثقافية-بيروت. 1971م.

الشعلان: الأستاذ راشد بن محمد الشعلان *أساليب عملية تجعل طفلك يحب القراءة* موقع: صيد الفوائد http://www.saaid.net/tarbiah/1.htm.

الصوفي: يحيى الصوفي، *قلة القراءة (مقارنة بين العرب والغرب)* مقال.

العمران: د. علي بن محمد العمران المشوق إلى القراءة والعلم وطلب العلم، دار عالم الفوائد، الطبعة الثالثة 2015.

الكتاب ومنافسة التكنولوجيا الحديثة. http://www.aljazeera.net/

مراد: الدكتور بركات محمد مراد، *الطفل والقراءة الإبداعية*، المكتبة الشاملة.

المشجعات على القراءة http://mucz-lbv-001.goethe.de/ins/iq/lp/arindex.htm.

معدل قراءة العرب مقارنة بالغرب. www.google.com/ejabat

http://islameiat.com/saifak/mqal4.htm:

http://mucz-lbv-001.goethe.de/ins/iq/lp/arindex..htm

http://www.aljazeera.net/

http://www.kuwaitmag.com/

http://www.marefa.org/

http://www.saaid.net

http://www.saaid.net

www.aljazeera.net .

www.IslamStory.com

www.IslamStory.com .

www.qudsn.ps .